دور فعل التدبير المنزلي في تشييد الهوية الاجتماعية للأسرة

د. فتيحة طويل- جامعة بسكرة- الجزائر

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى تحليل ممارسة الأعمال المنزلية، وإبراز أهمية إدارة الانفعالات في فعل التدبير المنزلي، وما يحققه من تنشئة اجتماعية تساهم في جودة الحياة الأسرية، والذي يرمز إلى تقاطع بين ترتيب الأشياء الروتينية وبين التصميمات العقلية، التي تحدد الذكاء الجسمي والحواسي، والاسترسال في الأفكار لتسيير الحركات المنزلية، والتعامل مع الأغراض التي نودع فيها جزء من هويتنا الاجتماعية، ونشيد عاداتنا ضمن نمط أسري مستقر، بفضل إدارة الحركات والمهام والأشياء، بكمية من البدائل الممكنة من الفعل اليومي، لخلق أسلوب منظم ومرتب للعيش، يرافقه الشعور بالسعادة والرضا عن الوضع في الحياة داخل الأسرة.

الكلمات المفتاحية: الدور،

Résumé :

Cet article vise à analyser la pratique des affaires à domicile, et de souligner l'importance de la gestion des émotions dans l'acte de l'entretien ménager, et parvenir à l'éducation sociale contribuent à la qualité de la vie familiale, qui symbolise l'intersection entre l'ordre des choses de routine et entre des conceptions mentales qui déterminent l'intelligence physique et sensorielle, et en faisant glisser dans des idées pour la conduite des mouvement ménage, qui traite des raisons pour lesquelles nous faire ses adieux à la partie de l'identité sociale, et nous nous félicitons de nos habitudes au sein de la structure familiale est stable, grâce à des mouvements, des tâches et la gestion des choses, le montant des alternatives possibles de l'acte quotidien, pour créer une approche structurée et conçue pour vivre, accompagné d'un sentiment de bonheur et la satisfaction de la situation dans la vie de famille.

***Les mots clés** : Le rôle, le ménage, l'identité sociale, la famille.*

مقدمة:

يعتبر التدبير المنزلي أو الاقتصاد المنزلي، أو ما يسمى بعلم البيئة البشرية علم الحياة الذي يختص بدراسة والاحتياجات والمقومات على مستوى المنزل والبيئة الاجتماعية. فهو"يكشف تحليل ممارسة الأعمال المنزلية (الكوي، الجلي، التنظيف...) أهمية الانفعالات في الفعل. ما بين الفكر العقلاني والروتين. يحدد الذكاء الجسدي والحواسي تصرفاتنا اليومية" كما يقول: جان كلود كوفمان.

أولا- التدبير المنزلي: بين نمط التفكير العقلاني والاعتيادي:

يهدف التدبير المنزلي إلى جعل كل منزل مريحا ومناسبا من الناحية المعيشية، وسليما من الناحية الاقتصادية والصحية ومن الناحية العقلية والجسمية، ومتزنا من الناحية العاطفية والنفسية، ومسئولا ومشاركا من الناحية البيئية والاجتماعية، لعيش أفراده في جو يسوده التعاون والحب والاحترام المتبادل.

كما يتضمن التدبير المنزلي موضوعات مثل التصميم الداخلي وتأثيث المنزل، والتنظيف، والمشغولات اليدوية، والطبخ والأغذية، وتغذية الطفل، وإدارة الأموال، والعلاقات الأسرية، والتثقيف الجنسي والتوعية بمخاطر المخدرات، فضلاً عن الوقاية من الحرائق وإجراءات السلامة وجعل المنزل عالماً أفضل للأجيال القادمة، لتحقيق الحياة المثلى والمستدامة للأفراد، والعائلات، والجماعات المشتركة. تم استرجاعه من: www.algazalischool.com/vb/showthread.php?750

حيث أدرج التدبير المنزلي في سياق البيت على مر العصور، ولكنه توسع في القرن الواحد والعشرين ليشمل بيئات معيشية أوسع نطاقا، باعتباره علما أكاديميا لتعليم طلاب جدد، لإجراء أبحاث وخلق معرفة وطرق تفكير جديدة للمتخصصين وللمجتمع، وبوصفه منهجا تعليميا يسهل على الطلاب اكتشاف مواردهم وقدراتهم الخاصة، وتطويرها لاستخدامها في حياتهم الشخصية، عن طريق توجيه قراراتهم وتصرفاتهم المهنية أو إعدادهم للحياة. مجالا مجتمعيا للتأثير على سياسة الدفاع عن حقوق الأفراد،

والعائلات والمجتمعات وتطويرها لتحقيق التمكين والرفاه، وللإستفادة من الممارسات التحويلية، ولتسهيل تحقيق مستقبل مستدام. وذلك لأن التدبير المنزلي يعتبر مجالاً للحياة اليومية في المنزل، والعائلات، والمجتمعات لتطوير إمكانات النمو البشري وتلبية الضروريات البشرية أو الاحتياجات الأساسية.

إذ من الأفضل لنا أن نفهم لماذا نقوم بأعمال التدبير المنزلي، وتحليل قدرات وخيارات وأولويات الأفراد والعائلات، وأثرها على كافة المستويات المتراوحة بين الأسرة والمجتمع المحلي والعالمي.من: https://ar.wikipedia.org/w، وذلك على اعتبار أن الأفعال الاعتيادية في الأعمال المنزلية تمثل ما هو أكثر ثباتا وأكثر تأسيسا في المجتمع، فالحركات التي نعمل التفكير بها، تلك التي نحافظ على بعد نقدي معها، لا تملك خاصية التوحيد.

و على العكس، إن الأنشطة اليومية الأكثر بداهة هي الأكثر تأسيسا والأكثر كشفا، فالناس كلهم يمتلكون خبرة ومعرفة حول مسألة التدبير المنزلي، وبهذا يمكن تطوير عمل يهم في آن واحد المتخصص والجمهور العريض. لأن ممارسة الأعمال المنزلية من الترتيب والتنظيف.. ترمز إلى تقاطع بين ترتيب الأشياء، وبين التصميمات العقلية كما بينته الأنثروبولوجية الانكليزية ماري دوغلاس، ومن هنا الانزعاج الذي نشعر به عندما نرى الفوضى في المنزل، ومن هنا الهدوء الذي نختبره بالمقابل بعد الانتهاء من الترتيب، وكلها عمليات تسير وفق تصميمات عقلية مأخوذة ضمن منظومة من التنظيم في الذاكرة، التي تملك إيقاع واسترسال للأفكار الحركات المنزلية، والتعامل مع الأغراض التي تطلق "سينما" داخلية صغيرة تبدي مخيالا شخصيا هاما جدا، أنها لحظة مفضلة للإبداعية الفردية، تقوم المرأة بعملية إخراج في رأسها، ومن هنا في الغالب سيولد مشروع يراعي الأصول، ويبني العادات والهوية الشخصية والاجتماعية، ضمن الحركات المنزلية، شديدة الروتينية والطقوسية، (فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه،2010، 349).

هذا الشكل من أحلام اليقظة يشيد طريقة في التفكير ذات أهمية كبيرة، تمارس فيما يتجاوز سياق الفعل المنزلي، إلى الفعل العقلاني كما نتصوره بشكل عام أي تفكير من النمط النقدي، يقيّم الإمكانيات، ويحدد الخيارات الواضحة مقارنة ببعض الأهداف المحددة

بوضوح في الفعل اليومي، نتيجة آلاف الحركات والمهام والأشياء التي يجب إدارتها بكمية من البدائل الممكنة من تلقاء نفسها، عندما يحس جيدا بما يجب أن يفعله، والذي يبين وجود معنى للرغبة بوضع قوة فعل التدبير المنزلي ضمن المعارف والقيم والمعايير المتمأسسة جماعيا، والتي تأطر محاجات أفراد الأسرة، لأن في الأساس هناك ذاكرة في الأعمال الروتينية تسمح لكل واحد أن يمارس عقلانيته كفرد: مثلا، يتم غسل الآنية بعد كل وجبة. هذه العادات مع ذلك تقبل الأخذ والرد، لان معظم الناس لا يحبون أن يتركوا أنفسهم سجناء في الروتين، بين هذين النمطين من التفكير، العقلاني والاعتيادي (فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه،2010، 349).

الأمر الذي يمد مدبرة المنزل العقلانية الذكية، بالمعارف والمعلومات والحكمة وحسن التدبر وطول البال، التي تساعدها في زيادة مكاسبها مثلا في اختيار الأغذية المناسبة المتكاملة التي يحتاجها جسمها في المراحل العمرية المختلفة التي تمر بها. وكيفية إعداد بعض الوجبات الغذائية بطريقه صحية والحفاظ عليها من التلوث وأيضا اختيار ما يناسبها من الملابس ومكملات الزي وحسن اختيار الألوان والموديلات التي تتفق مع العادات والتقاليد...كما يكسبها كيفية التعامل مع الآخرين بسلوك سليم وتكوين علاقات اجتماعيه بالشكل المناسب للمجتمع، وبالتالي تستطيع أن تساهم في تحسين الجو العائلي لأسرتها وتحقيق مستوى أفضل من خلال تعاونها مع بقية الأفراد ونقل المهارات والخبرات التي اكتسبتها مدبرة المنزل إلى أفراد أسرتها وتستفيد الأسرة من هذه الخبرات العقلانية بطريقة غير مباشره.

فما نشأت عليه وتعلمته يبنى في تصوراتها العقلية وتصورات أفراد العائلة، ويصبح لهم مرجعا في حياتها المستقبلية، حيث تستطيع اتخاذ القرارات والاستفادة من الخبرات في إدارة حياتها وحياة أسرتها المستقبلية. لذلك يهتم التدبير المنزلي بمساعدة أفراد الأسرة على إدارة شأنها سواء في الحاضر أو المستقبل على أسس علمية عقلانية في حل المشاكل التي تواجههم في علاقاتهم العامة ومسؤوليتهم في الحياة، وكيفية التصرف إزاء هذه المشاكل

والعمل على حلها وأيضا إكسابهم بعض المهارات اليدوية التي يحتاجون إليها حتى يتحقق التقدم للأسرة والمجتمع. تم استرجاعه من:

vb.elmstba.com و thawra.sy/_print_veiw.asp?FileName.

ثانيا: فعل التدبير المنزلي بين الاعتماد على الإحساس وإدارة الانفعالات:

هناك طريقة أخرى تقوم على التفكير دون أعمال الفكر، وعلى القيام بخيارات حقيقية دون الإفراط في فتح علبة الأسئلة والاختيارات العقلانية، هنا يتم استخدام الأحاسيس، فما هي الطرائق التي تمارس الأحاسيس من خلالها هذه الوظيفة في تنظيم الفعل المنزلي اليومي؟

يعتبر فعل التدبير المنزلي صيرورة تتشكل ضمن إطار الحالات الملموسة، ففي دينامية المبادلات بين المدبر والأغراض المنزلية تفاعلية معقدة، يمكن إعادة تشكيلها عن طريق الملاحظة الامبريقية والمعنى الذي يعطيه الأفراد لأفعاهم لتنظيم الفعل المنزلي اليومي، الذي يتم ضبطه عن طريق طقوس التفاعل كقواعد اللياقة أو التنظيف أو الكوي... والتي يكون اتخاذ القرار فيها أكثر تعقيدا بكثير، حيث يمكن أن نمضي ساعات في التفكير حتى نعرف ما هو السبب الأنسب من اجل القيام بخصوص مهمات من هذا النوع، فإننا نعمل بالاعتماد على الأحاسيس، وإدارة الانفعالات التي تسمح للأفراد بتقديم صورة حسنة لإدارة الانطباع حول الأعمال المنزلية، تبعا لعملية تظل في الغالب واحدة. إلى جانب اعتبار إن أغراض المنزل تلعب دور المؤشر الموضوعي أيضا مثلا، كومة الثياب بانتظار الكوي، بقدر ما يزداد حجمها بقدر ما تنقل رؤيتها إلى الجسم إحساسا بالانزعاج.

هناك إذن اهتمام على القيام بكيها، لكن الانزعاج ليس من القوة بحيث يدفع إلى الانتقال إلى الفعل. يمكن أن ننسى، وفي الغد نعود إلى كومة الثياب مجددا: وحينئذ يتحول الانزعاج إلى "نوبة غضب" تسيطر على الجسم لكي لا يفقدوا ماء وجههم... هذه الأحاسيس لا تعمل من العدم ،أنها تنجم عن معرفة تراكمية، عن ناتج تاريخ شخصي، فالانفعال يتطور بدءا من إطار كان قد تشيد من قبل الشخص، أن الارتفاع الحاسم

لكومة الثياب الذي سيطلق الفعل محدد من خلال تاريخ الشخص وتصرفاته التأويلية ضمن التجربة المباشرة و المألوفة له، حيث يشيد تصوراته العالم المنزلي وهو يتفاعل مع الأغراض ضمن معايير منظمة للتدابير المنزلية اليومية، ليشيد المعنى بالتفاعل والتفكير معا.

وينجم عن ذلك أن فعل التدبير المنزلي مدرك بوصفه شكل من التفاعل الرمزي، أو صيرورة يتصرف الأفراد بواسطتها تبعا لما تعنيه الأغراض في نظرهم، إلي جانب ذكاء الجسم في اتخاذ القرارات وفق قصدية الوعي التي تكتسب عبر الزمن من خلال التجربة والخبرة في التدبير المنزلي، والتي تحرر الانفعال وتسمح بتقديم صورة حسنة أو العكس تعمل على تخفيف السيطرة على سلوكه ضمن الكواليس التي تعمل على استمرار كومة الثياب التي تحتاج للكوي مثلا. (فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، 2010، 349-350) .

والواقع أن هذه النظرة المتأملة والتي تنتج معاني الأعراض يتم بناؤها في التفكير المعيش عبر الزمن في التوتر والانفعالات بين الحياة والتفكير والذي يخلق المحادثات الداخلية التي يجريها المرء مع نفسه في فعل حيازة المعيش، كما تراه الفينيمينولوجيا، لأنها تمثل الوسائل التي بواسطتها يأخذ الناس الأشياء بحسبانهم وينظمون أنفسهم ضمن عملية تفاعل الذات مع الأغراض، والتي تمثل كذلك أساسا لعملية تقمص دور التدبير المنزلي القائم على المخططات التي تحتم الفعل الفردي والموجودة داخل كل واحد منا، وهذا الاستبطان ضروري لأنه بمقدار ما يتم استبطان النموذج، بمقدار ما يكون الفعل أسهل، لكن الأفراد يمتلكون الإمكانية والخيار في استيعاب نماذج جديدة هناك على الدوام خيارات بين مخططات مختلفة.

ولتوضيح ذلك، سآخذ مثال "السينما الداخلية الصغيرة"، حلم أحمق إلى حد ما، يقوم فيه المرء بوضع سيناريو مختلف تماما عن الحياة الراهنة، ويتحول إلى مشروع حقيقي ويمكن أن تندرج في الواقع، وبدءا من هذا السلوك يمكن أن يجزئ أو يشكل هويته. ضمن تيار السوسيولوجيا التشييدية الذي يطرح مسألة الصلة بين الفرد الاجتماعي وبدراسة التشابكات بين الفرد والمجتمع، بين الحتمية والحرية، وهذا بدءا من العياني والملاحظة الإمبريقية، التي تشدد على تشييد الأفراد لهويتهم الاجتماعية ولفعلهم من خلال الانطلاق

من الواقع الميداني، الذي نصغي إليه كي نتعلم كل يوم ونطور فرضيات تترابط وتتشابك ضمن مفهوم"Grounded Theory الذي يطرحه "انسيلم شتراوس"، عالم الاجتماع الأمريكي، والذي يمكن أن نترجمه بـ"النظرية التي تأتي من تحت"، إنه نموذج نظري ينبني ويتطور كل يوم، هذه الطريقة في التصرف تنتج نموذج نظرية من ميزاتها أنها ملتصقة بالملموس وأنها ليست معدة جاهزة للتسليم، (فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه،2010، 350-351)، وهذا ما سيظهر في العنصر الثالث.

ثالثا: تشييد فعل التدبير المنزلي للهوية الاجتماعية :

3-1: مفهوم الهوية والهوية الاجتماعية:

تعرف الهوية بأنها حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره، لدرجة يذكر أن الهوية بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسه ومولده وعمله، فهي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، فهي حالة من الكينونة المطابقة بأحكام أو المماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق بين باطن الشيء وظاهره. أو هي التحديات الظاهرة المادية والمعنوية للإنسان بلا انفصال أو انشطار مهما ضئيل عن غيره، فهي ما يتحدد به ذلك الشيء ويعرف ويميز عن غيره من الأشياء أو الموضوعات أو الأجسام (عبد الرحمن بسيسو، 2005، 3،4)، فهي الحامي لسياج الشخصية وجانبا من صور الذات التي تعبر عن منظومة من علاقات منفتحة لا منغلقة، كما يقول أبو نصر الفارابي: إن هوية الشيء عيشته ووحدته وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له كل واحد. وقولنا أنه "هو" إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له لا يقع فيه اشتراك، لتتأكد لنا الصيغة الواحدية لمفهوم الهوية، الذي يعني المماثلة والتوحد ويضاده مفهوم المختلف والمتكاثر. (عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي، 198،2003).

وليس بالضرورة أن يكون ما يتحدد به الشيء جوهرا ثابتا لا يتغير. فالأشياء في كينونتها، إنما تخضع للتطور والتحول والتراكم المفضي إلى التجدد المستمر في مكونات الشخصية. فما كان من مكونات ومحددات الهوية في زمن قد يندثر مفعوله فلا يعود في

جملة ما تتحدد به هوية الشيء، وما لا يكون في جزء من مكونات الهوية قد يصبح كذلك في زمن لاحق كأهم الأسس التي تركز عليها الهوية، إلى جانب التدرج وتعدد مستويات التجديد. إذ ما أردنا تحديد أو تعيين هوية الشيء ينكشف عن تعدد في شخصيته وفي هويته لأنه ينطوي على أكثر من تعيين وهوية من وجهة وإن ماهيته ليست نهائية وإنما هي تندرج في الكينونة والتكون وهذا ما أكده "هيغل" عن الأنا المتحد بالآخر، تم إسترجاعه من:-www.arabrenewal.org/zrticles/25499/1/aYaaea-CaaaeiE-Yi-EoUI-aOEi-aeECNiIi/OYE1.htm1

بدليل أن أحدنا عندما يتحدث، يشير إلى نفسه سواء بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع، من خلال تعبير مثل أنا، هويتي، عالمنا... ولكن إن حاولنا تعريف هذه الأنا، لما عثرنا إلا على نسب وإضافات يصعب حصرها. فالأنا ليست بهذا المعنى، سوى مرآة بصور مختلفة أو مرايا متعددة، ترى من خلالها ذات واحدة (علي حرب 2005، 107). هذه الواحدية التي تقطن كيان الهوية، هي التي تفرض عملية استبعاد الآخر والغير، دون أن تدرك وتعمل في حقل التنوع والكثرة والجمع. لأن كل إقرار للذات هو الواحدة وهو أيضا تعيين للآخر، باعتباره عدوا أو على الأقل منافسا له في الحياة.

فإذا كان الإنسان يتمتع بالحضور، فإنه لا يحضر مباشرة لذاته ومن غير توسط، بل يحضر للعالم وبه وله أكثر من حضرة وجوده. فهو يحضر كذات عشيقة، من خلال اللقاء بين الجنسين أو الاثنين، ويحضر كذات معرفية باستكشاف للعالم بجسمه وخياله وعقله، ويحضر كذات سلطوية بأن يلعب دورا ويمارس نفوذا وتأثيرا، ولكنه يحضر أقوى ما يحضر كذات إبداعية، بصنيعه لذاته كقيمة جمالية فنية شعرية أو سلوكية ذوقية (علي حرب2005، 93). لذلك يجب أن نتكلم في الهوية بصفة الجمع ونقول هويات حتى نزيح عن هذا المفهوم كل تقوقع للذات وكل انكماش للوحدة كما يقول "فرانسوا لاريوال" فلا وحدة لذات قابلة بذاتها بمعزل عن الغير أو الآخر، (عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي،2003، 199).

إذ مع تعدد وجوه الآخر وتنوعها تتعدد وجوه الأنا "الهوية" وتتنوع، لتترجم هذه التحديات النظرية إلى لغة سياسية وتاريخية متحولة باستمرار، على محور ثبات تعكس نفسها تحت مجهر الزمن ومعاييره، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض عن تفاعل محقق أو مكبوح مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لا يمكن التعامل معه بمعزل عن إدراك مناحي تأثره بالسلطة الزمنية للتاريخ، وبمعطيات حركة الحياة وغايات الحراك أو السكون الثقافي والاجتماعي أو السياسي والاقتصادي... فهي قيم جوهرية تتنزل في واقع تتحدد فيه، بفعل فهم الإنسان وإدراكه وديناميكيته وقدرته على مواجهة مشكلات حياته وعصره، وتحطي الضرورات التي تحكمه وتحد من مدارات حريته، أو هي قيم جوهرية تكون معرضة لأن تفقد جوهريتها، إن هي جمدت أو ماتت أو فقدت استمرار كينونتها في مطلق تجمهرت في رحابه، وذلك إن توقفت عن أن تكون قابلة للتميز في واقع الحياة الإنسانية، أو كف الإنسان عن قراءة وسائل الوجود أو استمرأ العيش في حاضر من الإغراق في الجهل، والركون إلى حائط زمن أفقي لا يعرف كيف يكون زمنا حاشدا موارا بالحياة، أو تماهي بماض يستحيل استعادته أو بمستقبل لا يمكن الوصول إليه.

ويظهر ذلك أكثر ضمن فكرة الهوية الاجتماعية، إذ أن الواضح من الطرح السابق للهوية.. بأنها ليست بنية منغلقة، وإنما هي بنية متحولة باستمرار تحت مجهر الزمن ومعاييره، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض عن تفاعل محقق أو مكبوح، مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لا يمكن التعامل بمعزل عن إدراك مناحي تأثره بحركة الحياة، وغايات الحراك والسكون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، (عبد الرحمن بسيسو، 2005،3-5).

بل هي إحدى الوسائل التي تحاول المجموعة أن تبني وحدتها بها، وتشكل هويتها الاجتماعية التي لا تظهر على أنها انعكاس بسيط، أو تحاور وتجمع في ضمير الفرد وانتمائه وفي أدواره الاجتماعية. إنما هي كل ديناميكي، حيث تتفاعل جميع عناصره في تكامله أو في صراع، وهي تنتج عن استراتيجيات إنتمائية، يحاول الفرد من خلالها الدفاع عن وجوده ورؤيته الاجتماعية ودمجه في المتحد، وفي الوقت نفسه يقوم ذاته ويبحث عن تماسكه

المنطقي الخاص به، ضمن صيرورة وتتابع التماثل والتمايز، الذي تسعي المجموعة من خلاله إلى تأسيس تماسكها، وإبراز موقعها وموقفها بالنسبة لمجموعات أخرى، تجمع وتناقض كل هوية تبني وتحدد بالنسبة إلى هويات أخرى، و كأنها مزيج من المكونات الدافعية والمعرفية، التي تتكون من بناء ثلاثي الأبعاد:

أول بعد، تحاول البيئة الاجتماعية أن تتجمع على هيئة فئات اجتماعية مميزة، يكون الفرد وفئته متماثلين، إذ تضع هذه الفئة الفرد في منزلة معينة، لتتحدد هوية الفرد الاجتماعية كجزء من مفهوم الذات، ضمن الانتماءات الاجتماعية والهوية الجماعية التي تساعد الفرد على تقدير ذاته كبعد ثاني. وهذا كله لتظهر الهوية الاجتماعية أكثر في البعد الثالث، حين تتحدد علاقة هذه الجماعة وتتفاعل مع الجماعات الأخرى، كما تشير إليه نظرية الهوية الاجتماعية، تم استرجاعه من:

www.thgaftna.com/vb/showthread.php ?t=6139. ولنفهم بقية الجوانب الموحدة لثوابت الهوية، وهذا المظهر المتغير والمختلف خاصة مع العلاقة الصعبة مع الآخر، يوجد هناك نمطان لفهم قضية الهوية هما:

"فهم ذاتوي: لمفهوم الهوية قد أفرز موقفين متكاملين إزاءها موقف صادر عن البلدان التي طورت ثقافتها وأعطتها صبغة عالمية وكونية وقد يتمظهر هذا الموقف في إرادة الهيمنة والاستغلال والتمركز اقتصادا وسياسة وثقافة، وموقف صادر عن الثقافات الأخرى العرقية التي كثيرا ما تأخذ صبغة الدفاع عن الذات فتنظم نفسها للصمود. ولعل صموئيل هانتنغون في كتابه حول صدام الحضارات يعني بتأكيده على هذه الصراعات أن الهويات لا يمكن أن تأخذ غير هذه الصبغة التوترية وأن محرك التاريخ يكمن في صراعات الهويات.

والفهم الموضوعي لهذه الإشكالية يحاول إقرار تناظر وتناسق بين الهوية والعقل في صبغته المنفتحة والكونية في الآن نفسه، وهو فهم يأخذ بعين الاعتبار ثوابت الوجود ومتغيراته ويفتح الوجود على الحياة بتغيراتها ومفاجئاتها ونضالها وتوتراتها، فالذات في هذا الفهم مؤسسة للعقل وللوعي المتحرك والمتواصل أي أنها تتحدد بتاريخيتها. وتاريخيتها هي الفعل في الوجود والانتزاع عن قيوده (عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي،2003،200).

2-3: العملية التشييدية للهوية الاجتماعية بفعل التدبير المنزلي:

إذ كانت الهوية أو الذات في الفهم الموضوعي هي: مؤسسة للعقل والوعي المتحرك والمتواصل، الذي تتحدد بتاريخيتها التي تتحرك بالفعل في الوجود، والانتزاع عن قيود ثوابته ومتغيراته في ثنايا الحياة. حيث يمكننا أن نلخص المنظور التشييدي في الصياغة الشهيرة لسيمون دوبوفوارحين يقول "لا تولد الواحدة منا امرأة. بل تصبح امرأة"، حيث يفترض أن الواقع عملية تشييد، تنجم عن إعداد مديد تتخل فيه التمثلات والتدريبات والتصرفات واختيارات الفاعلين والقواعد الاجتماعية التي تتنوع تبعا للمجتمعات وتتشيد ويعاد تشييدها باستمرار. هذه الفرضية التي توجه مقاربة تشييدية للواقع . كالعملية التشييدية للهوية الاجتماعية للأسرة التي تنجم عن بناء الأفعال بدنيا العمل المنزلي، وبانفعالاته والتشابكات بين الفرد وأسرته بين الحتمية والحرية في الحياة اليومية المعاشة للأسرة.

فضمن دنيا العمل المنزلي هناك الأغراض، التي تمثل "حاجز الشرفة للذات grade-fous du soi" لأن الذات أكثر تناقضا وتشتتا مما نعتقد. لدينا فيض من التناقضات داخلنا، وعلينا أن نناضل باستمرار ضد هذه التناقضات كي نشيد وحدتنا، إن الذي يساهم بشكل مؤكد في تشييد هذه الهوية، هو هذا النمط العائلي المستقر، المعمول من المكنسة والسكاكين والأقداح وقناديل السرير والصابون والمنشفة... لأن هذه الأغراض لا تمثل ديكورا فقط، بل إننا نودع فيها جزءا من هويتنا وانتمائنا، ونصنع سر الألفة معها فرادى و كجماعة وسط العائلة، فمثلا يتشكل الزوجان من خلال التآلف بينهما، هذه الكتب هل هي كتبي أم ستصبح كتبنا؟، تستمر هذه العملية دون توقف بشكل مضمر، ليوسع الجسد بشكل ما مساحته من خلال تكامله مع الأغراض التي تصبح معالم وإشارات. يتم استبطانها جسديا من خلال فعل التدبير المنزلي، إذ هناك لحظات احتكاك جسدية شخصية جدا مع بعض الأنشطة، ومثال الكوي مدهش: لدى بعض النساء عادة مشاهدة التلفزيون في الوقت ذاته، وأخريات يستمعن إلى الموسيقى. قد يتوافق مع الموسيقى الإيقاعية أسلوب للكوي نشيط ومجد، وبخصوص البعض الآخر تكون الموسيقى

هادئة وتتوافق مع حركات أكثر إثارة ولوعة، (فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، 2010، 348).

الأمر الذي يقودنا لتعرف على تاريخية الشخص المدبر للمنزل على ضوء أفعالهم الآنية، وحضورهم وسماتهم في ثنايا الحياة العائلية، وفي نظرتهم إلى الأمام واستقبالهم للجديد، من حيث هو انعكاس للماضي والذاكرة وإشباع لإفرازاتها، وفق مقاربة "افتتاح تاريخ الذات على الإقبال" للمفكر "هيت غير"، التي طورها الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور". لأن تاريخية الإنسان تتحدد في حد ذاتها ببعدين:

بعد مؤرخ يجعل الوعي الذاتي مرتبطا بالماضي والذاكرة، فيؤسس هويته بالنظر إلى التراث الماضي، وباستحضار ما قد سجلته الذاكرة بعد عملية غربلة وتمييز للمعايير التي تحرر الانفعال.

وبعد صيروري يجعل الوعي الذاتي مرتبطا بالانفتاح على إحداثيات العمل المنزلي وصيرورتها، (عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي، 2003، 201). سواء أكان ذلك في شكل الانزعاج الذي نشعر به عندما نرى الفوضى في المنزل، أو في الهدوء الذي نختبره بالمقابل بعد الانتهاء من الترتيب، ضمن ممارسات الأعمال المنزلية والذي يكشف تحليلها عن أهمية الانفعالات في الفعل، مابين الفكر العقلاني والروتين، يحدد الذكاء الجسدي والحواسي تصرفاتنا اليومية.

الأمر الذي يشكل قلق الذات من أغراض المنزل التي تلعب دور المؤشر الموضوعي مثلا، كومة الثياب بانتظار الكوي، بقدر ما يزداد حجمها بقدر ما تنقل رؤيتها إلى الجسم إحساسا بالانزعاج. هناك إذن اهتمام "على القيام بكيها"، لكن الانزعاج ليس من القوة بحيث يدفع إلى الانتقال إلى الفعل. يمكن أن ننسى، وفي الغد نعود إلى كومة الثياب مجددا: وحينئذ يتحول الانزعاج إلى "نوبة غضب" تسيطر على الجسم. هذه الأحاسيس لا تعمل من العدم أنها تنجم عن معرفة تراكمية، عن ناتج تاريخ شخصي، فالانفعال يتطور بدءا من إطار كان قد تشيد من قبل الشخص، أن الارتفاع الحاسم لكومة الثياب الذي سيطلق الفعل محدد من خلال تاريخ الشخص، لقد شيد معايير هي التي تحرر الانفعال وهي حياة

في النهاية تحدد ذواتهم وهوياتهم وتثبت وتنغلق وتنعزل على ما هي عليه وسط مجالها وأمكنتها، كما تنفتح وتستمر في العطاء ضمن لحظات احتكاك جسدية شخصية جدا مع بعض الأنشطة، ومثال الكوي مدهش لدى بعض النساء عادة مشاهدة التلفزيون في الوقت ذاته، وأخريات يستمعن إلى الموسيقى، قد يتوافق مع الموسيقى الإيقاعية أسلوب للكوي نشيط ومجد، وبخصوص البعض الآخر تكون الموسيقى هادئة وتتوافق مع حركات أكثر إثارة ولوعة.

بشكل عام عندما يكون هناك موسيقى، يطلق الكوي"سينما" داخلية صغيرة تبدي مخيالا شخصيا هاما جدا، أنها لحظة مفضلة للإبداعية الفردية، تقوم المرأة بعملية إخراج في رأسها، ومن هنا في الغالب سيولد مشروع يراعي الأصول (دعوة الأصدقاء، القيام برحلة، شراء منزل...) المشروع لا يبدأ بالجلوس خلف طاولة مع ورقة وقلم، بل يولد غالبا من هذا المخيال شديد الحرية وشديد التموج، وهكذا، بالنسبة لعدد معين من الأشخاص، أن بعض الحركات المنزلية، شديدة الروتينية والطقوسية، هي التي تطلق هذه السينما الشخصية. (فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه،2010، 350-351)

وهنا تتشكل هوية ذات الشخص المدبر للمنزل، بأنواعها التي تظهر في قلقها وثباتها لذاتها وصيرورتها وانفتاحها على الإقبال، لأن هذه الذات مرتبطة بالآخر الاجتماعي والتاريخي، هذا الآخر الذي يرجعون له الاعتراف والاستقرار... والمتمثل في أفراد الأسرة التي تقوم بجهود لتحسين أوضاعهم وتجويدها. هذا الآخر الذي هو ضروري في حياتهم، لان الذات لا تكون ذات حقيقية إلا بالنسبة للآخر، ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه أساس كل تجمع بشري.

وفي المقابل تشكل هذه الذات بصبغة مسالمة تعترف للآخر بما له وما عليه، كما هو حاصل مع باقي أفراد العائلة، والضيوف من مناطق مختلفة. ليقر بذلك الشخص المدبر للمنزل ذاته وهويته بواسطة سرد معين للأحداث المعيش اليومي.

وليس فقط تجريد ذهني ميتافيزيقي، كما يؤكد "بول ريكور" الفيلسوف الفرنسي عن مفهوم الهوية السردية، الذي تقر ذاته الشخص المدبر للمنزل والمجتمع المحلي الذي ينتمي إليه،

وعندئذ يصبح للشخص المدبر للمنزل وأفراد أسرته، تاريخ ذو جدوى ناجعة ويجعلهم يستمتعون بالحياة حتى لو كانت بين الكفاف والرخاء، لتخلق لنفسها واقع من العدم، كما فعلت دولة إسرائيل على الرغم من المشاكل التي قد تعاني منها بعض الأسر.

مما يجعلهم ينعزلون بأسرهم ويرفضون العيش وسط باقي الأسر الراقية، خالقين كيان خاص بهم يتحدد في أغلب الأحيان نوع من الهوية السردية كما يقول "بول ريكور" (عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي، 2003، 206-207). لأن ذواتهم هي حضورهم اليومي في الحياة المنزلية التي يعيشونها ، وهذا الحاضر الذي يعيشونه هو مكون من مكونات هويتهم، هذا الحاضر الذي قلما انتبهنا إليه وأعطيناه حقه.

ومما سبق يظهر نوع من تشكل الهوية عن الشخص المدبر للمنزل، أما البعض منهم فيحاول إثبات هويته بتحديث وتطوير كيانه، وجعله قابل للتأقلم مع الواقع المتقدم، من خلال نضالهم اليومي من أجل الحصول على منزل راقي في كل الجوانب، لأن هويتهم لا توجد في الجذور التاريخية لكيانهم فقط، بل وأيضا في كل ما ساهموا به في تطوير حياتهم، من خلال الأثاث الراقي والوسائل المتطورة.. كتحقيق نوع من الذات. وهو جانب كبير من تكوين هويتهم وترسيخها في الحضور، كمظاهر للتطوير ومحاولة الاندماج مع الآخر، لأنه جزء راسخ في ذاتهم فبمجرد أن غيروا المنزل تغيرت ذواتهم وهوياتهم، حيث أصبح لهم انتماء جديد يحاولون التأقلم فيه، لأن الفرد يوجد في مجتمع هذا المنزل أولا ثم يكتسب هويته أو ماهيته لاحقا، بمعنى أن الهوية ليست معطى مقدسا وثابتا ونهائيا، وإنما هي معطى تاريخي في حالة صيرورة وحركة دائمين.

لنستنتج أن تشكيل الهوية الاجتماعية وسط المنازل، هي هوية تستقى من ذاكرة وانتماء ومجريات الإنسان المدبر لشؤون المنزل، وما يشخصه فيها من معالم مستقبلية تتكون مما يصنعه في يومياته، مشكلة الهوية التي تعيل الآخر وتختلف مع الآخر، لأنها أساس تكوين المظهر الفكري والاجتماعي، لهذه الهوية المتنوعة وسط المنازل، فليست للهوية قيمة في ذاتها أو فيما تخلقه من شعور بالخصوصية وإنما تنبع قيمتها مما يقدمه الإطار الذي تخلقه من

فرص حقيقية للتقدم وتوسيع هامش المبادرة التاريخية للأفراد والأسر التي تنطوي تحت شعاراتها.

لان الوعي للذات ليس إنتاجا فرديا صرفا، كما يقول عالم الاجتماع الأمريكي "جورج ميل"، لكنه ينتج عن مجموع تفاعلات اجتماعية، يكون الفرد منغمسا ومتشبعا فيها. بمعنى أن هوية الشخص المدبر للمنزل، يرى هويته بتبني وجهة نظر الآخرين ووجهة نظر المجتمع الذي ينتمي إليه، لأن الشعور بالهوية ليست معطية أولية في الوعي الفردي، بل حصيلة آلية اجتماعية تتداخل خلال كل فترة الطفولة، كما يؤكد المحلل النفسي والباحث في علم الإنسان الأمريكي "اريك أريكسون" الذي يبين أن الهوية الشخصية تنشأ من تفاعل بين الآليات النفسية والعوامل الاجتماعية، فمن جهة ينتج الشعور بالانتماء عن ميل الشخص لإقامة استمرارية في تجربة شخصية ذاتها ومن جهة أخرى. و من الواضح أن الشعور بالانتماء يستند إلى التماثل مع نماذج تقدمها مجموعات ابتدائية ينتمي إليها الفرد، تم إسترجاعه من: www.ahewar.org/debat/show.asp ?aid =6415. وهذا ما ينطبق على تشكيل الهوية الاجتماعية من خلال فعل التدبير المنزلي، بعدما تمت عملية التكيف الاجتماعي وسط المنزل.

المراجع:

[1] عبد الرحمن بسيسو.(16أفريل2005)، مشروع الحصة الإستراتيجية للثقافة الوطنية، ورشة عمل خاصة بمناقشة مسودة الخطة، وزارة الثقافة، غزة..

[2] عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي.(2003)، الحداثة ومابعد الحداثة- حوارات لقرن جديد، دار الفكر،دمشق سوريا.

[3] علي حرب(2005)، الممنوع والممتنع-نقد الذات المفكرة-،المركز الثقافي العربي،ط4، الدار البيضاء، المغرب.

[4] علي حرب(2005)، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي،ط3، الدار البيضاء، المغرب.

[5] فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه،(2010)، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، دار الفردق للطباعة والنشر والتوزيع،.سوريا.

[6] .www.thgaftna.com/vb/showthread.php ?t=6139

[7] www.ahewar.org/debat/show.asp ?aid =6415

[8] www.arabrenewal.org/zrticles/25499/1/aYaaea-CaaaeiE-Yi-EoUI-aOEi-aeECNiIi/OYE1.htm1